تجربة

سارة ريغس مدخل قارّتي محشوٌّ بالرصاص

رسائل قصيرة عبْر المحيط الأطلسي

في قصائدها القصيرة، تسعى الشاعرة الأميركية إلى التخلّص من عبء القاموس والوعي، مختارةً الاقتراب أكثر من لغة الحدس والحلم واللاوعي. شاعرةٌ تقيم على التخوم، بين الثقافات واللغات، وتعيد صياغة المكان، بما أنّ المكان ليس سوى تمثّلنا له

تقديم وترجمة: **خالد النجار**

قبل أكثر من عشر سنين، عرفتُ سارة ريغز بالتليفون. كانت، أيّامَها، تهتف لي من باريس لتقدّم بعض الملاحظات حول أشعار إيتيل عدنان التي كنتُ منهمكاً في ترجمتها. كان صوتها يأتيني في التليفون رقيقاً حازماً، وهي بحماسها المتدفّق وتوقّدها كما لو كانت تُنجز عملاً يخصّها. وبعد سنين من الصمت والغياب، يجيء صوتها مرّةً أخرى بالتليفون، ولكنْ هذه المرة من نيويورك، لتُعلِمني أنّ أشعار تلك السنة نُقلت إلى الإنكليزية ونالت جائزة عالمية (جائزة غريفن للشعر). ولكن من هي سارة ريغز؟

إنّها شاعرة تتخطّى الجغرافيات مادياً وروحياً. وهي كذلك فنّانة تشكيلية وسينمائية ومترجمة. نبتَتْ في نيويورك، في قلب مانهاتن. عاشت في طنجة وفي باريس، وهناك كانت لها لقاءاتٌ وحوارات مع إيتيل عدنان. ترجمت إلى الإنكليزية قصائد مختارة لثماني شاعرات مما بعد الحداثة الفرنسية، أذكر من بينهنّ ماري بوريل، وإيزابيل غارون، وريوكو سيكوغوشي. ولأنّها اختارت ما تسمّيه التبادل المزدوج مع الآخر، نراها تعيش باستمرار على التخوم؛ تعيش في مناطق التماس، تماس الثقافات واللغات والجغرافيات. سارة ليست من هنا أو من هناك. هي هنا وهناك في آن. وهي، حيث ما تذهب، تعيد صياغة المكان شعرياً وتشكيلياً ومرئياً، بما أنّ المكان ليس سوى تمثّلنا له.

قصائدها قصيرة مختزلة؛ لها شكل الهايكو ولكنّها ليست بالهايكو. هي رسائل يومية تُمسك بتفاصيل اليومي العابر وتثبّته في الشعر. لغتها لغة الشعر الحديث، وبلاغتها بلاغته التي انفصلت عن لغة القاموس ولغة الوعي. صارت الكلمة معبّرةً بقوّة عن لغة الطاقة الصادرة عن الإنسان؛ معبّرة عن عالم الحدس والحلم واللاوعي. لم يعد النص الشعري مقنعاً بمضمونه الفكري، وبرسائله التجريدية، وإنما بقوّة إقناعه الغامضة والحقيقية في آن. كما لو أنّ القصيدة تنويعٌ على الحلم، فهو حقيقي ولكنّه غير موجود.

لسارة ريغز سبعة كتب شعرية بالإنكليزية والفرنسية، من بينها كتاب تنظيري عن الشعر والإعلام المرئي. حصلتْ على عدة جوائز شعرية، آخرها الجائزة الكندية «جائزة غريفن للشعر» (2020) عن ترجمتها ديوان إيتيل عدنان «زمَن» (Time) الصادر في نيويورك عن دار «نايت بوت»، وهو متشكّل من أربع كرّاسات شعرية كانت قد صدرت في طبعتها الأصلية عن دار «التوباد» في تونس. تدير سارة «تماس» (Tamaas)، وهي جمعية فنون متعدّدة الثقافات.

إضافة إلى أشعارها، أصدرت كتابين فنّيّين بالاشتراك مع إيتيل عدنان ومع الفنانة الفرنسية آن سلاسيك. أنجزتْ شريطاً في طنجة، عُرض في مهرجان برلين السينمائي. وقدّمت دروساً في «معهد برات» في بروكلين وفي برامج جامعتي نيويورك وكولومبيا في باريس. هنا شذرات مختارة من مجموعاتها «28 تيليغرام»، و«60 رسالة هاتفية»، و«43 ورقة لاصقة».

سارة ريغس

رسائل تمسك بتفاصيل اليومي العابر وتبثّه في الشعر

نستطيع بقُصاصات الورق الصَغيرة أن نسوّي أشياء كثيرة

3

أقرأ الصحافة اليوم أيضاً
والأخبار سيّئة كما هي
من قبل. أم هي فقط الطريقة
التي تسقط بها الأخبار علينا
منكفئةً على نفسها مثل
تيّارات المحيط الأطلسي؟

8

العالم ليس الجريدة
على الرغم من وجود الكثير
من الخلط حول هذا الموضوع في الآونة
الأخيرة.

9

الجُمَل تستمر بالانبثاق
والانحناء إلى الخارج
من جميع النواحي. لا جدوى من القيام
بأيّ شيءٍ نحو ما تقوله
ما عدا مُشاهدتها وهي تلفّ، وهذا
ما أفعله في الأيّام الممطرة.

10

كنّا نتمنّى بشائرَ لحظةِ
تكسّر البسكويت
كنّا نستطيع بقُصاصات الورق الصغيرة
أن نسوّي أشياء كثيرة – ولكنْ ماذا؟
في تجويف البسكويت
كانَ هناك مستقبلنا،
كان هواء نحن
لن نلصقه بأيّ دفتر.

17

ماءُ الشاي يغلي
منذ وقت، في الواقع
تبخّر بالكامل. يتحتّم عليّ
عدم مشاهدة الكثير من أفلام أوزو
وأنْ أنسى الفيلم الذي أنا هو.

21

كثيراً ما يُفاجأ الناس بخياراتي
القديمة، كاختياري للزوج،
ولأسلوب الحياة، بيدَ أنّي لا أعيش هذا
كخيار
بقدر ما هو طريقةٌ لإدراك
كيف تنفتح أبوابٌ بعد محاولات
كثيرة. أحسّ بيدي على المقبض.

22

الكلمات لن تنفصل أبداً
عن النظام وعن القواعد النحويّة،
وأنا لا يمكنني أبداً دخولُ أفريقيا بدون
أمتعة بحجم قارّتين،
أو عشرة قرون. نحن أحرارٌ
ما دُمنا نرى الحدود.

23

BHV هو سانتا كلاوس هذا العام، سمعتُ
ذلك
بصوت عال وواضح في الأبواق.
اليوم، من الممكن أن أكون سعيدة
وغير مضطرة إلى أن أشرح هذا لطفلٍ في
سنّ الرابعة،
ومع ذلك مستعدّة لأن أخضع للأسوأ
لأرى يداً صغيرة في يدي.

(من ديوان «28 تيليغرام»)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

زمنٌ لإيتيل عدنان أيضاً

بعد ترجمتها، منذ 2003، عدّة مجموعات شعرية من الفرنسية، عادت سارة ريغس إلى واحدة من أكثر التجارب الشعرية القريبة إليها: تجربة الشاعرة اللبنانية الأميركية إيتيل عدنان (حلّت أمس ذكرى ميلادها السادسة والتسعون). هكذا، ترجمت لها، عام 2019، قصائد تحت عنوان «زمن» (الغلاف)، التي نالت، إلى جانب «جائزة غريفين» الكندية، جائزة «أفضل كتاب مترجَم» الأميركية، التي أشادت لجنة تحكيمها بِبُعدها الفلسفي وبترجمة ريغس.

كتاب

رامي أبو شهاب بحثاً عن علاقة الرواية العربية بالوعي

في ضرورة الخروج من الحكاية

في كتابه الجديد، يرى الباحث الفلسطيني أن الذاتية تسود النقد عندنا، وأنّ معظم الروايات العربية يعاني من إشكاليات في تشييد عالَمٍ سردي

عمّان ـ **العربي الجديد**

تكاد تغيب الرواية العربية عن تلك الدراسات التي تقرأها ضمن حقول معرفية متعدّدة ولا تحدّدها في إطار الموضوع وتقنيات السرد كما حدث طوال العقود الماضية، وتتأمّلها كنسق معرفي يتقاطع مع الفلسفة والتاريخ والفكر وحركة المجتمعات وتطوّر تعبيراتها عن جملة من القضايا والأحداث التي عاشتها.

يراكم الناقد والباحث الفلسطيني رامي أبو شهاب عدداً من العناوين في هذا السياق، أحدثها كتابه «خطاب الوعي المؤسلب في الرواية العربية: مقاربات في النقد الثقافي؛ ما بعد الكولونيالية، النقد النسوي، والتاريخانية الجديدة»، الذي صدر عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر»، وتتداخل رؤيته مع نظريات اجتماعية وسياسية وثقافية. ويدرس الكتاب نماذج من السرد العربي تبعاً لمقاربات أو منظورات نقدية محدّدة، كما في روايات «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم، و«موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، و«الأشجار واغتيال مرزوق» لعبد الرحمن منيف، و«عائد إلى حيفا» لغسان كنفاني، و«بوابة الذكريات» لآسيا جبار، و«النبيذة» لإنعام كجه جي، و«مخمل» لحزامة حبايب، و«أعناب مركب العذاب» للطاهر بن جلون، و«حرب الكلب الثانية» و«زمن الخيول البيضاء» لإبراهيم نصر الله، و«موسم الحوريات» لجمال ناجي، و«النجدي» لطالب الرفاعي، و«ساق البامبو» لسعود السنعوسي، و«القرصان» لعبد العزيز آل محمود، و«فاكهة للغربان» لأحمد زين، و«الإسبارطي» لعبد الرحمن عيساوي، و«موت صغير» لمحمد علوان.

يشير أبو شهاب في المقدّمة، في إطار قراءته لظاهرة الوعي في الرواية العربية، إلى أنها لا تعني بأي حال من الأحوال «صيغة مجلوبة من الخارج» بقدر ما تعني «اندغام الوعي ببيان تموضع الشخصية العربية (القلقة) في احتكاكها مع الإشكاليات التي تتصل بعلاقتها مع الماضي، والتاريخ، والهيمنة والسلطة، والآخر، وهي صيغ ما زالت تعيد المشهد السردي العربي، بحيث أننا لا نكاد نرى تحوّلاً بارز الانعطاف أو العمق نحو صيغ سردية جديدة على المستوى الفني».

من خلال النماذج الروائية المدروسة، يقدّم المؤلّف رؤية جديدة تنظر إلى هذه الأعمال التي تغطّي مرحلة تمتدّ منذ منتصف القرن العشرين حتى اليوم، باعتبارها انعكاساً لتمثّلاتها في الواقع، والتاريخ، والأنا، والهوية، والاستعمار، والنسوية، ومعضلة الحداثة، وليس بوصفها نتاجاً لغوياً فقط.

ويعود الكتاب إلى الأهمية التي يكتسبها النقد كونه «ممارسة عقلية مفارقة للعبثي أو المجّاني»، في إشارة إلى ما ينطوي عليه كقيمة من أهداف عليا، باعتباره «إعادة إنتاج أو توليد للأفكار القائمة على آليّاتٍ ذات بُعد جدلي في تكوين مفاصل تحوّل في السلوك الإنساني، بحيث لا يبقى النقد على هامش الثقافة». وهو ما أصبحت عليه الممارسة النقدية نتيجة عقود من ثقافة المؤسّسة المناهِضة للفكر، بفعل عدم تحديد خياراتنا الفكرية والمعرفية بين «اجتراح سنّة معرفية حقيقية» وبين «الدعوة إلى قطيعة معرفية».

لا نكاد نرى تحوّلاً نحو صيغ سردية جديدة على المستوى الفني

«الصيّاد» لـ محمد عبلة، مصر

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إضاءة

رجعية في ألمانيا وتقدمية في اسكتلندا

مرايا النزعة القومية

ليست القوميّة حالة رجعية بالضرورة، بل هي تختلف من سياق إلى سياق آخر. أمرٌ يؤكّد أنها ليست إلا «شعوراً متخيّلاً»، كما قال بندكت أندرنسون

دارا عبدالله

باستثناء اليمين الصاعد حديثاً، ليس ثمة، في ألمانيا، تفاخُر علنيّ بالقومية الألمانية بين النخب السياسية أو الأفراد. القومية في هذا البلد إشارةٌ لنزعة متوقّعة إلى اليمين. بعد الحرب العالمية الثانية، تعرّضت ألمانيا إلى عملية «نَزْع قوميّة» جذرية، على صعيد اللغة السياسية والتعليم والمؤسسات الدستوريّة، وذلكَ في سياق القطيعة السياسية والنفسيّة مع إرث الرايخ. لا أعلام للمباهاة على شرفات المنازل، ولا غناءَ للنشيد الوطني في المدارس، ولا قصائد تبجيل ومديح في المناهج، ولا دقائق صمت على الشهداء. الحساسيّة تجاه الأمر عاليةٌ لدرجة أنَّ البعض يشعرون بالضيق حتّى من مشهد الأعلام الألمانية والكتل البشريّة المتراصّة عندما يشاهدون جماهير كرة القدم.

ما يخيف الليبراليين واليساريين واليسار الليبرالي والحركات النسوية وحركات الجندر، وكذلك الجماعات الجديدة التي لا توجد أيّ تسمية لها حتى الآن، هما: الحشد وأعلام الوطن. باختصار: القوميّة في ألمانيا نكوصٌ إلى الرجعية. والحال أن ثمَّة شيئاً فريداً يحصل في أوروبا الغربية اليوم. إذ تعيش اسكتلندا ظاهرةً سياسية متمثّلة باتخاذ القومية والنزعة الانفصاليَّة موقعاً ليس باليميني بشكل أساسي، أو بالرجعي، بل بالتقدمي. فبعد أنْ قرّرت الدولة التي استعمرت ثلث العالم في يومٍ من الأيام، أن تتقلّص إلى حدودها القوميّة، بدأت ملامح التفكّك تظهر على المملكة المتحدة. الحكومة الاسكتلندية تنوي اليوم الانفصال في استفتاء جديد، ينقذها من تداعيات البريكست. قبل حفلة البريكست، لما كانت بريطانيا عضواً في الاتحاد الأوروبي، صوّتت غالبية الاسكتلنديين في عام 2014 لصالح البقاء في كيان المملكة. إلا أنّ الصحف التي تقيس المزاج العام، هذه الأيام، تقول بأنّ أكثر من نصف الاسكتلنديين، على الأقل، يؤيّدون الانفصال!

الأعلام الوطنيَّة ترفرف في إدنبرة. في الشوارع: العائلات، والرجال الذين يرتدون التنانير القصيرة، والشباب الذين يحملون الأعلام الأوروبية، وكبار السن، والحركات النسوية وجماعات الـLGBT والمثقفون والفنانون والأكاديميون، بل وحتّى الشباب الذين لا يهتمّون بالسياسة ولكنهم مرعوبون من فقدان خاصيّة التنقل بين حدود أوروبا. المشهد غريب، ومن وجهة نظر ألمانية: مخيف.

في كتابها الصادر عام 2016 بعنوان «الكوزموبوليتية من دون أوهام»، تقول الكاتبة التركية - الأميركية سيلا بن حبيب، بأنّ القومية ليست موضوع النقاش الأساسي، بل التغيُّر الذي أصاب مفهوم السيادة عبر القرون الماضيّة. إذْ إنّ الدول الأوروبيّة اتفقت في معاهدة سلام ويستفاليا عام 1648 على صيغة من التجاور، بحيث تُخصَّص لكل دولة سيادة مطلقة، داخل جغرافيا قومية - مكانية، مفصولة عن الخارج بحدودٍ صارمة. ولم يفرض تجاور دول ويستفاليا أيّ تأثر إيديولوجي أو تشابه سياسي بينها. كلّ دولة تختار نظام الحقوق والواجبات السياسية الذي يناسبها. أي أنّ الحق مرتبطٌ بالمكان ويتغيّر بتغيره.

«دولة ويستفاليا»، كما تسمّيها بن حبيب، بدأت تتصدّع إثر التغيّرات السياسية والاجتماعية الكبرى، كصعود الإمبراطوريات وبدء الاستعمار وحركات الهجرة. أمّا النقطة التي أفاضت الكأس، فهي التحوُّل الأوروبي الشامل إلى نمط الإنتاج الرأسمالي. تحوُّل العالمِ إلى سوق كبير هو عاملٌ هزّ عرش السيادة المطلقَّة. لم تعد الدولة المنتج الأكبر للسلع، وصارت الشركات الكبرى والنظم المالية العابرة للحدود تتحكّم حتّى بقوانين العمل. في بدايات القرن العشرين، استعرت أزمة دولة ويستفاليا في حربَين عالميتين حرقتا الأخضر واليابس، لتظهر الدولة ذات «السيادة التعاونية» (Kooperative Souveränität)، كما نراها الآن في الاتحاد الأوروبي. صارت السيادة التعاونية أمراً واقعاً، خصوصاً بعد ظهور أزمات من المستحيل لسيادة ويستفاليا أن تقدم أجوبة لها، وتتطلب حتماً تعاوناً مشتركاً عابراً للحدود، كأزمات المناخ والأوبئة والهجرة. في سيادة ويستفاليا كان الحقُّ لصيقاً بالمكان، وفي السيادة التعاونية أُذيبَت الحدود القومية، وانفصل الحقّ عن المكان، وبدأت تتشكّل بوادر مفاهيم عالمية حول حقوق الإنسان. وهذا بالضبط ما يفسّر النزعة الاسكتلندية الانفصاليّة الحالية. الانفصال عن بريطانيا من أجل الالتحام بأوروبا؛ الحسّ القومي كطريق إلى السيادة التعاونية. هكذا يبرز التناقُض بين إرادتين قوميّتين؛ الأولى تقدمية وكوزموبوليتيّة، والثانية انعزالية. ثمَّة تشابهٌ بين هذه النزعة الاسكتلندية وكلّ من النزعة القومية العربية الفلسطينية (وليس الحديث هنا، بالطبع، عن «البعثين» السوري والعراقي) التي تشكّلت في سياق النضال ضدّ آخِر استعمار في العصر الحديث، والنزعة القومية الكردية التي نمت في أوساط الطبقة الوسطى الكردية، خصوصاً في سورية وتركيا.

ليست القوميّة حالةً رجعية بالضرورة، بل هي تختلف من سياق إلى سياق آخر، وهذا ما يؤكّد مقولة بندكت أندرنسون: فهي ليست إلا «شعوراً متخيّلاً».

(كاتب من سورية)

تشابهٌ بين القومية الاسكتلندية وتلك العربية الفلسطينية

عمل لسارة ريغز

فعاليات

تختتم الأحد المقبل، 28 شباط/ فبراير الجاري، تظاهرة **كلاسيكيات النجمة الزهراء**، التي تقام في سيدي بوسعيد بالقرب من تونس العاصمة بعرض لـ **الأوركسترا السيمفوني التونسي**، يجري فيه تقديم أعمال من موسيقى الحجرة تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منها مقطوعات لـ **هايدن** (اللوحة) و**موتسارت**.

يعود مهرجان **ريدزون** إلكترونياً في نسخته الثالثة، حيث تجري فعالياته على موقعه على الإنترنت (redzonefestival.com) بين الرابع والسابع من آذار/ مارس المقبل. تحمل الدورة عنوان **فضاءات داخلية**، وتقدّم 26 مشروعاً لـ32 فناناً بصريّاً من مختلف البلاد العربية، يقترحون تأمّلاتهم حول فترة العزلة التي عاشتها المعمورة، العام الماضي، بسبب جائحة كورونا.

تنظّم «ساقية عبد المنعم الصاوي» في القاهرة، عند السادسة من مساء اليوم، حفلاً موسيقياً لفرقة **منيب باند**، التي تستعيد أعمال الملحّن والمغنّي **أحمد منيب** (1926 ـ 1990). أسّس الفرقة **خالد منيب**، نجل الفنّان الراحل، عام 2011، وتتّخذ أعمالُها من عوالم وإيقاعات الموسيقى النوبية فضاءً لها.

يستمرّ حتى مساء بعد غدٍ السبت، السابع والعشرين من شباط/ فبراير الجاري، معرض **بين تشرين وتشرين** للمصوّر الصحافي اللبناني **مروان طحطح** في فضاء «الهنغار» في بيروت. يضمّ المعرض، الذي تنظّمه منظّمة «أمم للتوثيق والأبحاث»، أعمالاً (الصورة) التقطها طحطح خلال تغطيته لانتفاضة 17 تشرين الأول/ أكتوبر.